نشأة السينما في العالم وتطورها

تعود فكرة التصوير الى عصور ما قبل التاريخ، إذ حاول الإنسان اصطياد بعض عناصر بيئته، واعادة انتاجها على جدران الكهوف التي عاش فيها. فالكهوف الاسبانية حفظت لنا رسوماً لحصان بثمانية أرجل ولقوس ينطلق من سهم صياد ورسوماً لملوك برجل ممدودة للدلالة على حركة المشي. إلا أن جهود الإنسان كانت منصبة على اضافة أبعاد تأثيرية بصرية للوحات الفنانين كالاضاءة وطرق العرض ومحاولة تحريكها أكثر من تطوير تقنية التقاط الصور وتثبيتها. فمنذ عام ١٦٤٠ حيث عرض (أثانا سيوس كرتشز) في روما اختراعه المسمى (الفانوس السحري)، وحتى عام ١٨٣٥ العام الذي توصل فيه (وليام فوكس تالبوت) إلى طريقة علمية تمكنه من تثبيت الصورة، فإن مجمل المحاولات تركزت في اضافة أبعاد درامية لما هو ساكن لإنتاج نوع من المتعة البصرية أفرزت من ضمن ما أفرزته مسارح خيال الظل الذي أزدهرت في القرن الثامن عشر واستمرت حتى مطلع القرن العشرين

وفي عام ١٨٢٣ طور (لويس ـــ جاك ماندي داجر) فكرة (الأيدوفيوزيكن) في باريس المبنية على اضاءة صورة بها أجزاء شبه شفافة من الأمام ومن الخلف بطريقة شديدة التعقيد بواسطة مجموعة من المصابيح والغوالق لإحداث تأثير بتغير الاضاءة وتبدل المشاهد، وقد انعكست شعبية الديوراما في انتاج أجهزة مصغرة منها على هيئة صندوق الدنيا للاستعمال المنزلي والذي استخدمت فكرته في عرض أولي أفلام الصور المتحركة بعد أقل من قرنين من الزمان. وبعد نحو قرنين على اختراع الفانوس السحري اخترع (سيمون ريتر) في فينا آلة عرض أسماها (ستروبوسكوب) وهي عبارة عن رسوم على حافة قرص إذا نظر اليها أحد خلال فتحات في قرص آخر متحرك بدت كالرسوم المتحركة. وفي عام ١٨٣٥ استخدم نمساوي آخر هو (فرانز فون يوكا تيوس) فانوساً سحرياً لعرض صور الستروبوسكوب على حائط. وكان من بين أشد الأنواع الأولى لجهاز السينما رواجاً، جهاز أسمه زوتروب (Zoetrope) أو عجلة الحياة ابتكره عام ١٨٣٣ انجليزي أسمه (وليام جورج هورنر) وأسماه (Daedclum) أو عجلة الشيطان، لأن الصور الأولى التي كانت مرسومة على العجلة جسدت شيطاناً. ويتركب هذا الجهاز من اسطوانة ذات فتحات رأسية في حافتها وفي داخله مجموعة صور إذا رآها الناظر في حالة حركة الأسطوانة بدت له متحركة.

وفي عام ١٨٩١ قام (وليم كنيدي ديكسون) الذي كان يعمل تحت اشراف (توماس أديسون) بتصميم أول آلة ناجحة للصور المتحركة. ولقد سجل اختراع الكاميرا المطورة

المسماة (الكينتوغراف) حيث التقط سلسلة من الصور الفوتوغرافية الفورية على شريط كوداك القياسي السليلوزي الشفاف قياس ٣٥ ملم. وكانت نتيجة هذا العمل أول عرض للجمهور عام ١٨٩٣، استخدم فيه آلة صممها (ديكسون) أيضا أطلق عليها تسمية (كينتو سكوب). وتتكون (الكينتوسكوب) من صندوق واسع وتسمح لشخص واحد رؤية الصور بواسطة فتحة وذلك بعد تشغيل الجهاز بوضع قطعة نقدية كان (الكينتوسكوب) جهازاً للفرد وليس للجماعة. ولأن آلة (الكينتوسكوب) كانت جهاز عرض للفرد وليس للجماعة لم تكن ناجحة تجارياً بهذا الشكل مما أفسح الطريق أمام الأخوين الفرنسيين (لويس وأغوست لومير) إدخال تعديلات وتحسينات على آلة العرض وعلى الكاميرا ليقدما (السينما توغراف) أول أداة عرض جماهيري ناجحة إلى جانب كونها تلتقط وتطبع الفيلم سلفاً. هكذا قدماً للجمهور الباريسي أول عرض للسينما توغراف، في ١٨٩٥/١٢/٢٨ حيث ضم العرض عشرة أفلام كان من بينها فيلم (ساعة الغداء في مصنع ليمير) الذي صور العمال وهم يغادرون المصنع في مدينة ليون، وفيلم (وصول قطار إلى المحطة) الذي صور قاطرة قادمة إلى المحطة، يقال أنها أفزعت المتفرجين وكان سعر الدخول فرنكا واحدا وايراد يوم الافتتاح ٣٥ فرنكا. وقد بات يوم ٢٨ كانون الاول ١٨٩٥ هو التاريخ الرسمي الذي يحتفي فيه بميلاد فن جديد، وهو فن السينما. وبعد هذا التاريخ طورت شركة أديسون أداة عرضها الخاصة كما فعل عدة مخترعين آخرين. ولقد استخدم بعضها أفلام بقياسات وسرعة عرض مختلفة لكن بعد بضعة سنوات أصبح فيلم أديسون قياس ٣٥ ملم وسرعة عرض ١٦ كادر بالدقيقة لسينما توجراف لومير المقياس السائد في صناعة الأفلام حينها.

وتعد السينما عاملاً من عوامل تكوين الرأي العام، وهي تمتلك قوة استهواء مباشرة للجماهير لما تمتاز به من خصائص معينة تجذب الجمهور إليها فهي تجمع بين الصورة المتحركة والحوار والموسيقى والاستعراض مما يعمق الأفكار المطروحة في ذهن الجمهور لتقديمها رؤى مختلفة للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، اذ ان السينما تعد من اكبر وسائل الدعاية التي تجمع حشداً بشرياً كبيراً في زمان ومكان محددين ومعروف للجميع قدرة السينما في الخداع البصري والنفسي، ذلك ان تعتيم قاعة العرض وكبر مساحة الشاشة أمام المشاهد يعملان على تحريك الفعل الباطن للإنسان وتفعيل قدرة اللاوعي لديه بحيث يؤثر في سلوكه المستقبلي تأثيراً مباشراً، وفي مقابل ذلك، فإن السينما تحتاج الى الذهاب اليها من قبل الجمهور في أوقات محددة.

المصدر : أ.م.د سعد سلمان المشهداني : تاريخ وسائل الاعلام في العراق ، ط ٢ ، عمان ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٤ .